مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
ISSN ٠٩٣٤-٢٢٢٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

الهوية الوطنية العراقية
النشأة والمعوقات

الخلاصة

بدأ تشكل الهوية الوطنية منذ أواخر العهد العثماني، وولدت فكرة المواطنة العراقية مع الاحتلال الإنكليزي وتأسيس الدولة العراقية، وكانت أولى مهام الملك فيصل الأول خلق هوية عراقية مشتركة، وتعزيز الشعور بالمواطنة وشغل موضوع الهوية الوطنية والمواطنة في العراق الباحثين والمثقفين منذ نشأة الدولة العراقية الحديثة، بسبب الأزمات والتقلبات الاجتماعية والحروب، ولدوره العربي والاقليمي الكبير في الأحداث التي تعيشها المنطقة منذ قرن.

تطور مفهوم الهوية عبر ثلاث مراحل، نهاية الدولة العثمانية، الاحتلال البريطاني وتأسيس الدولة العراقية، ثم العهد الملكي، كانت هوية الدولة منذ تأسيسها قومية انعكس على مجمل بنية الدولة، وظهرت عدة عوائق تتعلق بطبيعة المجتمع العراقي وأيضا بالأداء الحكومي.

تاريخ تقديم البحث: ١٩/ ١١/ ٢٠٢٤
تاريخ قبول البحث: ٢٩/ ١١/ ٢٠٢٤

أ.م.د. ولاء مهدي محمد حسين(*)

كلمات مفتاحية

الدولة العراقية، الهوية الوطنية، المواطنة، عوائق الهوية

المقدمة

منذ نشأة الدولة العراقية الحديثة وحتى اللحظة الراهنة، ولما تعرض له العراق وما يزال من تقلبات اجتماعية وثورات عارمة وازمات وحروب دامية، ولأثره الكبير ودوره المهم في المنطقة الشرق أوسطية والعربية، وتبعا للأحداث الجسام التي تعيشها المنطقة منذ قرن ونيف من الزمان، شغل موضوع الهوية الوطنية والمواطنة في العراق الباحثين والمثقفين والكتاب والمؤرخين والمهتمين بالشأن العراقي ويندرج ضمن هذا المجال المؤلفات المختلفة من علم اجتماع وتاريخ

(*) الجامعة المستنصرية / كلية التربية الاساسية
dr.walaa.mahdi75@gmail.com

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
Issn.2224-0934
Info@baytalhikma.iq

وسياسة واقتصاد وفكر وغيرها من اقسام العلوم الاجتماعية المتفرعة عنها.

وقبل الحديث عن نشأة الشخصية الوطنية العراقية لابد لنا الوقوف على تعريف الشخصية الوطنية، فقد عُرفت الشخصية الوطنية بأنها (تلك الشخصية الجماعية التي تميز شعبا ما، وتسمه بسمات اجتماعية وسلوكية معينة) فهي ليست الشخصية التي تتسم بالالتزام المبدئي تجاه الوطن. وقد تعرف أيضا (بانها مجموعة السمات الشخصية التي تصف شعبا معيناً وكذلك تعرف بأنها مجموعة الخصائص والصفات السلوكية التي يتسم بها سكان شعب ما أو أغلبهم)، يتشابه الافراد الذين يعيشون في مجتمع معين في بعض الخصائص التي تميزهم عن غيرهم من أبناء المجتمعات الأخرى، بالرغم مما نلاحظه من تباين وتفاوت بين افراد المجتمع الواحد، نجدهم مشتركين في صفة عامة تجعلهم يختلفون عن غيرهم من الشعوب والأمم. فالشخصية هي نتاج المجتمع الذي يعيش فيه الفرد، مع التأكيد ان هناك فروق شخصية بين افراد المجتمع الواحد، وللخصائص التي يتميز بها المجتمع أهمية كبيرة حيث تجعله يطبع افراده بصفات سلوكية معينة، كما أن نمط التفكير الفردي يتأثر كثيرا بثقافة المجتمع الذي يعيش فيه الفرد[1].

وقد خضع مفهوم الشخصية الوطنية أو الجماعية الى انتقادات جمة منذ أواسط القرن العشرين وأكثرها تدور حول جانبين، الأول الانتقادات العلمية كونه يتبنى مفهوما نمطيا للسلوك الإنساني لا يستند الى منهجية علمية رصينة، فاغلبها قامت على انطباعات وملاحظات شخصية للكاتب أو الباحث، لم تبنَ على منهجية علمية حقيقية تم اختبارها ميدانيا حيث ان ابحاثا كثيرة تم اجراؤها اثبتت عدم وجود علاقة بين سمات الشخصية النمطية للشعوب وبين سمات الشخصية الفعلية لأفراد ذلك الشعب، كما وجدت الكثير من الفروق الفردية الناجمة عن اختلاف الجنس او العمر او المنطقة الجغرافية لأفراد المجتمع وتم تجاهلها من خلال قولبة افراد ذلك المجتمع ككل، في نمط معين[2]. ولطالما لاحظنا الكثير من المؤلفات تعتمد التعميم بخصوص الشخصية العراقية، وفي معظم الحلات لا تستند تلك الأحاديث ولا المفاهيم ولا حتى الكتابات الى منهجية علمية رصينة، بل تستند الى ملاحظات ورؤى شخصية للكاتب يجري تعميمها.

الجانب الثاني الانتقادات الأخلاقية فتاريخ الكتابة عن شخصية الدول والمجتمعات في العالم، ارتبط مع الحروب والغزوات التي خاضتها الدول فيما بينها. عمد الذين كتبوا عن الشعوب الى تبسيط الأمور لجعلها ميسرة في حين ان البحث في الشخصية الوطنية او الجماعية يتطلب معرفة دقيقة وعميقة بثقافة تلك المجتمعات، بل ان معظم هذه الكتابات كانت بواسطة رحالة او

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
ISSN ٠٩٣٤-٢٢٢٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

مستشرقين أجانب لا ينتمون لتلك الثقافة، واحيانا كانت تكتب من اشخاص يكنون العداء لذلك الشعب او يرون أنفسهم أكثر ثقافة وتحضرا منه، لذلك امتلأت هذه الكتابات بالتمييز العنصري والانتقادات الاجتماعية[٣].

ان الاهتمام بصفات الشعوب وخصائصها أو ما يسمى بشخصيتها ظهر في أوقات قديمة في التاريخ وقد ابتدأت منذ ان اهتم الرحالة المختلفون في العالم بالتعرف على الشعوب التي كانوا يمرون بها ويجدونها مختلفة عنهم، وقد تكون الحاجة الى اختراع قوالب كبيرة واسعة يتم من خلالها وضع الصفات الاجتماعية للشعوب او الأمم او الجماعات، في أنماط واسعة او كبيرة هي حاجة اصيلة في النفس البشرية، ولطالما سمعنا وقرأنا بان هنالك صفات مشتركة لشعب ما تجعلنا نطلق عليها مصطلح الشخصية الوطنية[٤].

البدايات الأولى للهوية الوطنية العراقية

بُعثت الفكرة القومية العربية، بوصفها ركناً أساسيا في الهوية الوطنية العراقية، من جديد في بدايات القرن الثامن عشر لأسباب عديدة، أهمها انتشار النقود ولفكرة الربح بين العشائر، وتحول تلك العشائر من اقتصاد الكفاف الى اقتصاد السوق، مع دخول السلع و البضائع البريطانية الذي اثر سلبا على الحرف القديمة، ومنها صناعة الثياب، تحول المشايخ من افراد في العشيرة الى ملاك أرض اقطاعيين ساعين للكسب، وللسياسة التركية الهادفة لاستعداء رؤساء العشائر بعضهم ضد بعض، وللتنافس الأكبر بين هؤلاء الزعماء والمشايخ في ما بينهم على الفلاحين، وما تبع ذلك من اختلاط و تداخل بين العشائر، غير طبيعة الحياة في المناطق المتأثرة بهذه المستجدات، مما أدى الى اضعاف الولاءات العشائرية القديمة التي أصبحت غير فاعلة تقريبا ولا ننسى أثر الوباء والفيضان عام ١٨٣١ على بغداد والمدن الأخرى، جراء هذه العوامل والأسباب ظهرت قوى اجتماعية جديدة وانتلجنسيا وليدة تبنت الولاء للقومية العربية[٥]، مع ان القومية العربية لم تزح الولاءات القديمة عن موقعها، وانما نمت على حسابها وتعايشت معها جنبا الى جنب واستمدت من العَصبية القديمة بعض قوتها، حيث اخذت بعض عناصرها النفسية والعاطفية والمفاهيمية من الدين الإسلامي. واسهمت الكثير من الاحداث بشكل مباشر وغير مباشر في تغذية المشاعر القومية من بينها زيادة عدد الشباب الملتحقين بمدارس التعليم العالي التركية وخصوصا الاكاديمية العسكرية في إسطنبول والتعرف على طرق التفكير الاوربية، وانتشار الكتب والصحف وتكاثر الاتصالات العربية وظهور النوادي والجمعيات العروبية والاهتمام الأكبر بالتاريخ العربي وإنجازات الماضي، فضلا عن الادراك العميق

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
Issn.2224-0934
Info@baytalhikma.iq

للواقع، الاستياء من أوضاع الفقر واستنهاض اللغة المشتركة والأصول العرقية المشتركة لمعظم العراقيين، وتسارع إيقاع (التتريك) وعدم التجاوب التركي نسبيا مع الاحتياجات المحلية[٦].

لم يكن العراق بحدوده السياسية معروفاً في تلك الحقبة، نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وكان مقسماً الى ثلاث ولايات، بغداد والموصل والبصرة، والمجتمعات فيها غير متماسكة، بأي شكل من الاشكال، يصعب تشخيصه بانه مجتمع عراقي[٧]، ولعل السبب في ذلك بقايا الصراع العثماني الصفوي في العراق، وبحسب الباحث حسن العلوي، ارست مذابح السلطان مراد الرابع ١٦٣٨م أسسا تقليدية لحكم تركي استمر أربعة قرون، اجهز الصفويون والعثمانيون في مذابح بغداد على مأثر وقيم وتراث عباسي لم تستطع بغداد ان تستعيدها لاحقا، فقد دمرت معظم اسوار المدينة ومعالمها العباسية واستبيحت مكتباتها الخاصة التي سلمت من التخريب والحرق المغولي، فكان السلطان التركي يحرق الكتب والمجلدات التي يعثر عليها في مكتبات الشيعة، بالمقابل كان الشاه الإيراني يحرق الكتب التي يعثر عيها في مكتبات اهل السنة، ويرمي بها في دجلة، اذ فقدت بغداد اعظم تراثها الثقافي في تلك الحقبة، اما التدمير الأكبر الذي احدثه هؤلاء فقد كان من نصيب الشخصية العربية التي (محقوا كبرياءها ومسخوا اصالتها فتشوهت على الصورة التي تحدث عنها المؤرخون)[٨].

ان خضوع الولايات الثلاث بغداد والموصل والبصرة للحكم العثماني الذي كان يطبق الشريعة الإسلامية وعلى وفق مبادئ الإسلام، الذي يعد الإسلام دينا وجنسية والعالم الإسلامي وحدة دينية وسياسية تعرف بدار الإسلام ويعرف فيها المسلمون باسم المواطنين، والذميون باسم الرعية والأجانب باسم المستأمنين، وحيث ان العراق طوال تلك الحقبة جزء من الدولة العثمانية، فقد ظل خاضعاً لذلك التصور في توزيع الافراد دوليا[٩]. مع أوائل القرن التاسع عشر ووصول السلاطين العثمانيين المصلحين وجماعة تركيا الفتاة عام ١٩٠٨، عمدت السلطات العثمانية الى اتخاذ بعض الاصلاحات الادارية والقانونية لمواكبة التطور العالمي، وخصوصا التطور المتسارع في الدول الاوربية، حيث اصدر الباب العالي (مرسوم الإصلاح العثماني) عام ١٨٣٩، معلناً فيه المساواة بين المسلمين وغيرهم من حيث التمتع بالحقوق واحترام حقوق الافراد وبذلك ابتعدت الدولة العثمانية عن المعيار الديني، واقتربت من نظام الجنسية وايد هذا الاتجاه بالمرسوم الإصلاحي (خط التنظيمات الخيرية) سنة ١٨٥٦ وأصبح بموجبه جميع الرعايا العثمانيين متساوين في الحقوق والواجبات كتولي الوظائف والخدمة في الجيش وبذلك تبنوا فكرة سيادة الدولة على الافراد والفصل بين الدين والجنسية وأصدر المشرع

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
ISSN ٠٩٣٤-٢٢٢٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

العثماني اول قانون ينظم الدولة العثمانية على غرار التشريعات الاوربية في ١٨٦٩، لتأكيد المساواة بين المسلمين وغيرهم من سكان الدولة العثمانية، وبذلك خضعت ولايات العراق (بغداد والبصرة والموصل) لأحكام التنظيم الوضعي للجنسية العثمانية وفقا للمفهوم الحديث لهذه الفكرة[١٠].

كان المجتمع العراقي يزخر بالانتماءات الفاعلة، حيث ظَّمَ الانتماء الى الاسرة والانتماء العائلي الذي يشكل دافعا للانتماء العشائري ومن ثم الانتماء القبلي وهنالك الانتماء الريفي والمحلاتي (من محلة) إزاء الانتماء الى المدينة وتكوين المجتمع المدني، وهذه كلها تشكو التقليد، وقادت الفرد العراقي بعيدا عن الانتماء الموحد مع الافراد الاخرين في المجتمع[١١]. وهناك جانب اخر للصراع بين الافراد، النزاع المزدوج بين العشائر والمدن النهرية من جهة، وما بين العشائر نفسها من جهة ثانية، حول الأراضي السهلية المنتجة للغذاء على ضفتي دجلة والفرات [١٢]. ويمكننا فهم تاريخ ما قبل نشأة الملكية في العراق من خلال هذه الصراعات، حيث كانت طبيعة حياة المدن والعشائر في وديان انهار العراق متناقضة ومتباينة فيما بينها، و (بشكل أكثر وضوحاً فان وجود عشائر قوية كان يعني في القاعدة، وجود مدن ضعيفة بالتلازم). وفي الحقبة الأخيرة من الدولة العثمانية ساعد السلاطين المصلحون قضية المدن بطرقهم الخاصة[١٣].

الهوية الوطنية العراقية في مرحلة الاحتلال الإنكليزي

انتهزت بريطانيا فرصة انضمام الدولة العثمانية الى جانب دول الوسط (المانيا، النمسا، المجر) ضد دول الوفاق الثلاث (بريطانيا، فرنسا، روسيا) في الحرب العالمية الأولى في تشرين الثاني ١٩١٤، فاحتلت البصرة ١٩١٤، واستغرق غزو العراق من شماله الى جنوبه المدة (تشرين الثاني ١٩١٤ الى ٧ تشرين الثاني ١٩١٨) عاش العراق خلالها فترة انتقالية، اندلعت بعدها ثورة العشرين (في ٣٠ حزيران ١٩٢٠) متبنيه فكرة وليدة لمواطنة سياسية، يرفدها شعور عام بالاستقلال، يستوجب تعزيزه بهوية وطنية جامعة[١٤].

وخلال فترة الحكم المباشر البريطاني للعراق ومرحلة تشكيل الدولة العراقية الوليدة (مملكة العراق) كرست بريطانيا الطائفية بين الشيعة والسنة، إذ أسهمت في بلورة واقع سياسي استغلته حيث ضخمت احداثا طائفية صغيرة وغير مهمة، نقلها المندوب السامي البريطاني لعصبة الأمم المتحدة، وكان تأكيدها على هذه الاحداث ودعمها وتعزيزها، كالمسألة الشيعية ومشكلة العشائر يسلط الضوء على التوجيهات البريطانية في خلق صراع طائفي على السلطة، ووضع المعوقات امام قيام دولة مستقلة ثابته الأركان قادرة على حل مشاكلها وتنمية شعبها[١٥].

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
Issn.2224-0934
Info@baytalhikma.iq

ومما تجدر الإشارة اليه ظهور تنظيمات سياسية سرية نوعا ما، ذات طابع وطني قبل اعلان الدولة العراقية، وهي أحد العوامل التي ساعدت على تبدل السياسة البريطانية وقيام الحكم الملكي واهمها:

- (جمعية النهضة الإسلامية في النجف: تألفت هذه الجمعية سرا في النجف عام ١٩١٨ وهي جمعية ذات طابع ديني، غير ان الاتجاه الوطني كان حاضرا فيها وقد هدفت الجمعية الى تخليص العراق من السيطرة الأجنبية وإثارة المسلمين ضد هذه السيطرة وذلك لضمان استقلال العراق).
- (جمعية حرس الاستقلال: تألفت في بغداد أواخر شباط ١٩١٩) من قبل جماعة المثقفين الشيعة والسنة، وقد تضمن منهجها موادا من بينها استقلال العراق التام، وتأليف حكومة دستورية ملكية[١٦].

الهوية الوطنية العراقية في العهد الملكي

العراق بحدوده الحديثة لم يكن وحدة سياسية قائمة بذاتها قبل قيام مملكة المملكة العراقية في ٢٣- اب ١٩٢١، حيث ولدت الدولة الجديدة، اوجدتها بريطانيا تحت ضغط ثورة العشرين، وكان قيام كيان وطني خطوة مهمة باتجاه التوحيد الحقيقي بمفهومه العضوي الحديث لتلك الساحة القطرية في المنطقة[١٧].

وهنا يجدر التساؤل عن مدى وعي العراقيين آنذاك بالفكرة الوطنية، وما هو دور الدولة الوليدة في خلق وتعزيز الشعور الوطني؟

ان أحد أهم وضائف مؤسسات الدولة كانت مهمة خلق هوية مشتركة والإحساس بالانتماء الى كيان الدولة، وقد استخدمت المملكة الهاشمية العراقية المؤسسات التعليمية في بث الوعي القومي والإرادة العربية وهي آلية استخدمها الهاشميون لإرساء الشرعية على المؤسسات المستحدثة وكان حرصهم يرجع لأسباب داخلية، فضلا عن تقوية مركزهم التفاوضي مع سلطات الانتداب البريطاني. ولم تكن مهمة خلق الهوية المشتركة مهمة يسيرة إذ استغرقت فترات زمنية طويلة تخللتها احداث عنف، وعملية التأهيل السياسي لم تكن سهلة، حيث يتعرف من خلالها أبناء المجتمع على قيم وتوجهات مجتمعهم، وتكون مزيجاً متفاوت المشاعر والتوجهات التي تشكل هوية الفرد العامة ومعتقداته مثل القومية، وتصوره لمكانته الاجتماعية أو القبلية، والالتزامات العقائدية والإحساس بحقوقه وواجباته تجاه المجتمع بالإضافة الى التعرف على المؤسسات الحكومية والسياسية[١٨].

وفي المجتمع العراقي الذي غلب عليه الانعزال والانكفاء على الذات، منحت مؤسسات الدولة

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
ISSN ٠٩٣٤-٢٢٢٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

الرسمية المتمثلة بالملك والمجلس التأسيسي، التي تعد اول مؤسسة دستورية يشهدها العراق، العراقيين إحساسا بالانتماء الى مرجعية سياسية، الامر الذي أسهم في بلورة الشعور بالهوية المشتركة، بعد ان كان العراق جزءاً من الامبراطورية العثمانية المترامية الأطراف، واسهم المجلس التأسيسي في إرساء نظام استمر حتى عام ١٩٥٨.[١٩]

يلاحظ الباحثون ان الدولة العراقية بنيت من قبل بريطانيا على غرار النمط الأوربي للدولة القومية او الدولة –الامة وهي لا تلائم الهويات الغالبة في البلاد وبالأخص شيعة العراق، الذين شكلوا تحت قيادة رجال الدين والمراجع العليا المقيمين في المدن المقدسة أساس المقاومة للاحتلال البريطاني والنضال من اجل استقلال العراق، فبالنسبة لهم الإسلام والعروبة لا يتضادان او يتعارضان. في حين اعتمد الإنكليز في بناء الدولة على النخب المنحدرة من الأقلية العربية السنية، التي اتجهت نحو التعاون والعمل مع الإنكليز معتبرة الدولة الجديدة ملكيتها المحتكرة وقد استبدلت هذه النخبة ولاءها الإسلامي للسلطان – الخليفة العثماني الى العروبية (الاسرة الهاشمية العربية). نجحت بريطانيا في قهر الحركة الدينية باسم مفهوم قومي عربي لا يشكل الإسلام فيه سوى مجرد صنف او مكون ثقافي من مكونات العروبية، وعروبية الدولة العراقية الجديدة أُختصرت الى مجرد اثنية او عرقية لا محل للشيعة والاكراد فيها[٢٠].

وخضع المجتمع آنذاك الى إعادة هيكلته وتشكلت العلاقات بين أبنائه اعتمادا على الموقف من عوامل الإنتاج، وبدأت ملامح التكوينات الطبقية بالتبلور استنادا الى امتلاكها وعدم امتلاكها الأرض، الا ان عملية التفكك والانحلال للأشكال القديمة لم تذهب الى نهايتها المنطقية، فتعايشت الأنماط الاجتماعية الجديدة مع القديمة التي لم تتفكك، رافق ذلك الكثير من التمييز الاثني والطائفي، كما ساهمت عوامل الطبيعة الجغرافية في تعميمه فتركزت كبار الاقطاعيات في مناطق جنوب العراق لخصوبتها، وعانت مدن شمال العاصمة بغداد من انحدار قيمة الحرف اليدوية، مما أدى الى هجرة واسعة الى مدن العراق الرئيسية، ولم تكن موجات الهجرة الداخلية متشابهة بسبب اختلاف دوافعها من مدينة لأخرى، كما لم تكن الدولة مهيأة لاحتوائها ولم يستوعبها المجتمع أيضا[٢١].

ولنتمكن من بسط مشكلة الهوية الوطنية في العهد الملكي لابد لنا من تقسيمه الى مرحلتين:

المرحلة الأولى: مرحلة تأسيس الدولة وتبدأ من تولي الملك فيصل الأول في اب ١٩٢١ وحتى وفاته في ٨ أيلول ١٩٣٣.

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
Issn.2224-0934
Info@baytalhikma.iq

يذهب الباحثون الى ان الملك فيصل الأول بذل جهودا حثيثة لاسترضاء الشعب، من خلال عمله على اشراك الشيعة في الحكومة بتدريب الشباب الواعدين منهم في دورات تدريبية مكثفة، ومنحهم فرصة للارتقاء بموقع المسؤولية، الان جهوده لبناء العراق على أسس قومية كان تهدف بالدرجة الأساس الى تثبيت أسس السلطة لعائلته، وكان ذلك يدعم أسس دولة متماسكة بذات الوقت[٢٢]. وواقع الحال في هذه الحقبة كان الملك المتمركز في بغداد مغزى اجتماعي متعارض عمليا مع أوضاع مشايخ العشائر، الذين كانوا هم الحكام الفعليين لجزء كبير من الريف، ويمثل الشيخ مبدأ المجتمع المفكك (كثرة العشائر والولاء لمشايخها يعبر عن الولاء للقبيلة)، والملك يمثل مبدأ المجتمع الموحد (شعب عراقي واحد، امة عربية واحدة) الا ان هذا الشعار الذي رفعه الملك لم ينل نصيبه من التطبيق على ارض الواقع الا بقدر محدود ويسير[٢٣].

جانب آخر مهم من معوقات الوحدة الوطنية وتنامي هوية الفرد العراقي الموحدة، التي بلغت اعلى درجات اللحمة الوطنية بين عشائر العراق العربية في ثورة العشرين، الدور الذي قام به الإنكليز لشق وحدة الصف الوطني، فقد وضعت بريطانيا إطارا جديدا لسياسة الدولة الفتية تتلاءم مع سياستها، فأثقلت الدولة الجديدة كاهل مواطنيها بأعباء أخرى دافعة بالشعب العراقي الى إعادة التفكير بالهويات. ووضعت اول قانون للجنسية العراقية معتمدة مبدأ (فرق تسد)، فكان قانون الجنسية معرباً عن النص الإنكليزي الذي وضعه مشرعون بريطانيون ذوا اختصاص، والمنفذ له دائرة الجنسية (CID) التي سميت لاحقا بدائرة السفر والجنسية[٢٤]. حيث صدر اول قانون للجنسية في للدولة العراقية، قانون ٤٢ لسنة ١٩٢٤، قَسم العراقيون الى عثمانيين وتبعية، أي التبعية لجنسيات أخرى ومنها الإيرانية كان اغلب العراقيين قبل الاحتلال الإنكليزي (حوالي ٧٠ منهم) بدون جنسية، لعدم حاجتهم لها بالتعاملات اليومية وهم سكان الأرياف، والبعض الاخر من العراقيين الشيعة العرب يميلون الى اكتساب الجنسية التبعية الإيرانية تهربا من الخدمة العسكرية في الجيش العثماني، اذ يعدون السلطان العثماني مغتصب للسلطة. لقد وضع الإنكليز هذا القانون بهدف معاقبة اغلب الشيعة الذين ثاروا عليهم في ثورة العشرين، بجعل وجودهم قلق في العراق وعدم منحهم الجنسية العراقية واسقاطها عنهم متى ما ارادت السلطة التنفيذية ذلك، لقد كانت هذه التفرقة عميقة ترتبت عليها آثار خطيرة لاحقا[٢٥].

استبعدت الحكومة الملكية الشيعة من الحكم وهمشت دورهم مما أدى الى فجوة كبيرة بينها وبين فئة كبيرة من الشعب، واختلف الباحثون والمؤرخون بصدد دور الملك فيصل الأول في بناء وترسيخ الهوية الوطنية العراقية، حيث يرى البعض ان دوره كان أمرا طبيعيا وان التجانس والتوافق الذي رافق نشأة المؤسسات كان سطحيا، ووجد له البعض الآخر دورا كبيرا في مشروع بناء

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
ISSN ٠٩٣٤-٢٢٢٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

الدولـة الوطنية واسـتكمال مؤسسـاتها الحديثة من جيش وشرطـة ودوائـر خدمية واسـتقرار الوضع الاقتصادي والسياسي[٢٦].

المرحلة الثانية: تبدأ مـن بعد وفاة الملك فيصل الأول والى قيـام ثـورة ١٤ – تمـوز وانتهـاء الحكـم الملكـي ١٩٥٨. في هـذه الفـترة من تاريـخ العراق اخذت الملكية الهاشمية وتحديدا في عهد الأمير عبد الاله، وحتى تولي الملك الشاب فيصل الثاني العرش ١٩٥٣ منحـى جديد في إدارة الدولة أثر سـلبا على الهوية الوطنية واللحمـة الاجتماعية. حيث اتخذت الملكيـة موقفاً سـلبيا مـن الجيش، اعـداده وتجهيزه بالسـلاح، نتيجـة الانقلابـات العسـكرية المتكررة التـي قادها ضبـاط الجيش ضـد الاسرة الهاشـمية ونوري السـعيد، سـياسي الملكية الأكبر. ان سياسة اسـتعداء الجيـش واسـتبعاد الفاعلـين مـن ضباط الجيش واهماله وخضوع القرار السياسي للإنكليز، وإقامـة حلف بغداد معهم، عام ١٩٥٥. واسـتمالة مشـايخ العشـائر، فضلا عن الأوضاع الاقتصادية المتردية أدى الى تصاعـد النقمـة الشـعبية عـلى المملكـة، فالملكيـة بتحالفها مع المشـايخ توقفت في الواقع عن دورها الساعي الى التوحيد الاجتماعي، وتكريسـها لنظام اقطاعي متخلف أصبحت مانعا للتقدم الاقتصادي، بالتالي أصبحت احدى عوامل التخلف الاجتماعي[٢٧].

حيـث لم تسـعَ الدولـة الى تحقيـق الاندمـاج الاجتماعـي وأدت بذلك الى اضعاف التجانس بين افـراد المجتمع، الـذي يعزز بدوره الهويـة الوطنية، ولم يفلـح أي حـزب برجـوازي رسـمي في ان يجسـد تطلعات القاعدة الشـعبية، بـل كان الحزب الشـيوعي، الوحيـد الذي حضي بقاعـدة جماهيرية واسعة من الشعب والطبقات الكادحة، محظوراً من قبل الدولة وكل اعضائه واتباعه مطاردين ومغيبين في السـجون والمعتقلات مما زاد النقمة الشعبية على الحكومـة[٢٨]. واعتمدت الحكومة أسـلوب اسـقاط الجنسـية العراقية عن المعارضين لها فدشـنت ذلك بأسقاط الجنسـية عن (عبد القادر سلمان) وهو من أوائل الشـيوعيين الذين اسقطت عنهم الجنسية[٢٩]، كما ارتبـط مفهـوم التنميـة بالعدالـة الاجتماعية في حقبة سـادت فيها أفكار المسـاواة والاشتراكية، إذ تركـت مجـالاً ضيقا لقيـم ومفاهيـم البرجوازية مما اكد مسـألة عدم التجانس الاجتماعـي بين طبقات المجتمع[٣٠]، وقد توحـدت جهود الوصي عبد الاله ونوري السـعيد وكبارا لمشايخ والاغوات وملاكي المدن ضـد طبقة الانتلجنسـيا الصاعـدة المغرقة في اليسـارية او مغرقة في الوطنية المتحالفة مع الجماهير الحضريـة، كـما حظيـت هـذه الطبقـة بمؤيديـن في الجيش والمؤسسة العسكرية[٣١].

تضـل قضيـة الشـيعة والاكـراد حتـى أواخـر العهـد الملكـي مشـكلة مسـتعصية مما عـزز الفرقة في المجتمـع اذ يشـير الباحثون الى ان تسـيس الهوية فكـرة، الهوية العربية واسـتغلالها في تهميش الاخر يـودي الى زعزعة الثقة بالحكومة، فلم تعمد الدولة الى احتضـان واحتـواء كل افرادها عـلى اختلافهم بوصفـه الطريـق الأمثـل الى تحقيـق الانسـجام، بمعنـى الانتـماء الى الدولـة هـي الهويـة، وبإمـكان الدولـة الراعية لمواطنيها (دولـة المواطنة) ان تطرح

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
Issn.2224-0934
Info@baytalhikma.iq

شكل الهوية المناسبة لها لترسيخ اللحمة الوطنية ودعم أركانها وهذا خلل من جانب الحكومة وسياستها، هنالك جانب حال دون اندماج الشعب في هوية واحدة سببه طبيعة المجتمع نفسه اذ يشير الباحثون الى قلق المواطن العراقي، وخوف الانتماء الى الهوية العراقية عند معظم المرجعيات الفاعلة في الشخصية العراقية، والتي تدعم المجموعات الاجتماعية المتواجدة في المجتمع العراقي (اسرة، عشيرة، محلة، حزب) وقد يكون لهذا الخوف عوامل يجعله متغيرا مستقلا في الذات العراقية. فالمجتمع بتشرذمه وانتشار الفقر والجهل والتخلف، والتقاليد الاجتماعية والقيم الحضارية المناهضة للمبادئ والاحكام التي استندت اليها المنظمات الإدارية والسياسية، يقف عائقا في وجه إقامة دولة عراقية حديثة تنهض على أسس وطنيه وموحدة، بل عمل على تحجيم هذه الهوية ورفضها من قبل الشعب، استنادا الى أساس عرقي قومي ضيق منافي لمفهوم الهوية الوطنية الموحدة والجامعة لكل المجتمع[٣٢].

لذلك قامت ثورة ١٤ تموز معلنة انتهاء الحكم الملكي ودشنت صفحة جديدة من تاريخ العراق اخذت فيها الهوية العراقية العربية الموحدة التي تضم كافة القوميات والاجناس في العراق شكلها النهائي، كما حملت الحقبة الجديدة معها هموم وأزمات ومشكلات عانت منها الهوية العراقية التي لازالت تعيش أزمات متعاقبة حتى للحظة الراهنة.

الخاتمة

تشكلت الهوية العراقية المعاصرة في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين نتيجة ظروف ومتغيرات جديدة ظهرت في العقود الأخيرة للدولة العثمانية، منها ما يرتبط بالمتغيرات الدولية عموما ومنها يتعلق بخصوصية العراق، وكان الاحتلال الإنكليزي أحد أسباب توحد العراقيين، اذ دأب الشعب العراقي على الاتحاد والانسجام لمواجهة التحديات الخطيرة والأزمات الكبيرة، فكانت ثورة العشرين التي تمخض عنها قيام المملكة العراقية الوليدة ويمكن ان نجمل اهم ما توصلنا اليه بخصوص طبيعة الهوية العراقية ومعوقاتها في العهد الملكي والى ثورة تموز ١٩٥٨، حيث دعمت الملكية الهاشمية في أوائل عهدها قضية الهوية العربية بوصفها العنصر الثابت الذي تقوم عليه الدولة (شعب عراقي واحد امة عربية واحدة) وقد بذل الملك فيصل الأول جهودا حثيثة من اجل ذلك الا ان هذا الشعار لم يطبق الا بقدر يسير، وتحولت الملكية في المرحلة التالية من تاريخها الى مجرد راعٍ لمصالح الطبقة الحاكمة والمتعاونين معها من الاقطاعيين والمشايخ والأغوات. وكان للانكليز دور سلبي جدا في تلك الفترة، يتعلق بزرع التفرقة بين أبناء الشعب العراقي وعززت ذلك اول قانون للجنسية العراقي، قسم العراقيين بموجبه الى افراد عثمانيين وتبعية لجنسيات أخرى،

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
ISSN ٠٩٣٤-٢٢٢٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

ومن ثم عمدت الحكومة، الى اسقاط الجنسية العراقية عن المخالفين لها والمعارضين لسياستها لاحقاً وهنالك جانب أخير يرتبط بطبيعة المجتمع العراقي في تلك الحقبة حيث يحوي انتماءات عديدة وبنى قديمة لم تستطع ان تسمو الى الاندماج بهوية وطنية موحدة جامعة لكل العراقيين.

الهوامش

١. ينظر منقذ داغر وميشيل غليفاند، ثقافة التصلب –منظور جديد لفهم المجتمع العراقي، ط١، الذاكرة للنشر والتوزيع، بغداد ٢٠٢٣، ص٢٠-٢١.

٢. ينظر أيضا ص٢١-٢٢

٣.انظر المصدر السابق، ص٢٥. قدم الباحثان داغر وغيلفاند دراسة موسعة وعميقة حول الشخصية العراقية وفق مفهومي الثقافة الصلبة والرخوة المعاصرين ووجدا من خلال المسح الميداني على عينات واسعة من المجتمع العراقي من شماله الى جنوبه خلال العامين ٢٠٢٠ -٢٠٢٢ ان الثقافة العراقية ثقافة مفرطة في الصلابة، أيضا ١١٢.

٤. ينظر أيضا ص ٢١

٥. ينظر حنا بطاطو، العراق – الكتاب الأول –الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية في العهد العثماني حتى قيام الجمهورية، ط١، ترجمة عفيف الرزاز، ط١، طهران ٢٠٠٥، ص٤٠- ٤١

٦. ينظر نفس المصدر ص ٤١

٧. د. علي وتوت، الدولة والمجتمع المعاصر في العراق سوسيولوجيا المؤسسة السياسية في العراق ١٩٢١-٢٠٠٣، مركز دراسات المشرق العربي، بيروت ٢٠٠٨، ص٨٩

٨. حسن العلوي، الشيعة والدولة القومية في العراق، ط١،روح الأمين بغداد،١٤٢٦ ه، ص٤٧

٩. د. عبد الله حميد العتابي، إشكالية الجنسية في العراق المعاصر، ط١، دار قناديل، بغداد ٢٠٢١، ص٣٤

١٠. المصدر السابق، ٢٥-٢٦. يلاحظ قيام التشريع الوضعي للجنسية العثماني على معايير المتعارف عليها في الدول الاوربية وفرنسا على وجه الخصوص، حيث اخذ التجنس سببا لاكتساب الجنسية العثمانية، الا انه زاد على ذلك جعل الزواج المختلط للعثمانية من أجنبي سببا في فقدها الجنسية العثمانية بقوة القانون، أيضا، ص ٢٨

١١. ينظر علي وتوت، مصدر سابق، ص١٢٥

١٢. ينظر حنا بطاطو، مصدر سابق، ص٤٢

١٣. ينظر المصدر السابق، ص٤٢-٤٣

١٤. ينظر عبد الله حميد العتابي، إشكالية الجنسية في العراق المعاصر، ص٢٧

١٥. د. حسين عبد الواحد بدر، سياسة فرق تسد البريطانية في العراق – التقرير البريطاني عن إدارة العراق الى عصبة الأمم في عام ١٩٢٧ وتحليله على وفق معطيات الواقع السياسية انموذجاً، مجلة دراسات في التاريخ والأثار، العدد ٤٩ لسنة ٢٠١٥، كلية الآداب جامعة بغداد، ص٣٧٤ -٣٧٥

١٦. ينظر د. علي وتوت، مصدر سابق، ص ٢١٧-٢١٨

١٧. ينظر رند حكمت محمود، مشكلة بناء الدولة في العراق للمدة ١٩٢١-٢٠٠٦، أطروحة دكتوراة، مقدمة الى كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ٢٠٠٧، ص٧٤

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
Issn.2224-0934
Info@baytalhikma.iq

١٨. ينظر المصدر نفسه، ص ٧٤-٧٥

١٩. ينظر أيضاً، ص٧٥-٧٦. استغرقت عملية بناء الحكومة في العراق حوالي خمسة أعوام بدأ من تأليف الحكومة المؤقتة في تشرين الأول الاول ١٩٢٠، ثم تتويج الملك فيصل الأول في اب ١٩٢١، وإعادة تشكيل وزارة عبد الرحمن الكيلاني، وصدور قانون الانتخابات في تموز ١٩٢٣، واستكملت الانتخابات لآخر لواء في العراق، لواء الموصل في شباط ١٩٢٤.وجرت انتخابات المجلس التأسيسي الذي افتتحت جلساته في اذار ١٩٢٤، وفي العام نفسه صادق المجلس التأسيسي على المعاهدة العراقية -البريطانية، وتمت المصادقة على الدستور في اذار ١٩٢٥. أيضا، ص ٧٩-٨١

٢٠. ينظر مجموعة باحثين، المسألة الشيعية - رؤية فرنسية، ترجمة د. جواد بشارة، ط١، دار ميزوبوتيميا، بغداد ٢٠١٥، ص٩٠-٩١

تشكل المسالة الكردية قضية معقدة ومهمة في تاريخ الدولة العراقية الحديثة، نكتفي بالشارة اليها بشكل سريع، بما يتناسب مع بحثتنا الموجز.

٢١. ينظر رند حكمت محمود، مصدر سابق، ص٥٥

٢٢. ينظر حنا بطاطو، مصدر سابق، ص٤٥

٢٣. ينظر أيضا،ص ٤٦.

٢٤. ينظر د. عبد الله حميد العتابي، مصدر سابق، ص٢٨

٢٥. ينظر أيضا، ص٢٨-٤١، كانت الخدمة في الجيش العثماني طويلة الأمد وقاسية حيث نص القانون العثماني على ان يقوم بالخدمة العسكرية كل عثماني مسلم او غير مسلم بلغ من العمر ٢١ عاما ومدة الخدمة في الجندية ٢٥ عاما في الجيش البري و٢٠ في البحري. انظر أيضا ص٤١-٤٢

٢٦. ينظر رند حكمت محمود، مصدر سابق،٩٦ص-٩٧.
ويرى حسين عبد الواحد ان الملك فيصل الأول رغم جهوده في ردم الهوة بين الشيعة والدولة من خلال الاهتمام بنشر التعليم في مناطق الوسط والجنوب وضرورة معادلة مدرسة الترقي الجعفري بالشهادة الإعدادية، الا انه عد الشيعة اغلبية جاهلة، وهذا يعكس ترسيخ هذه القناعة لدى كبار الساسة العراقيين ونجم عن هذا التوصيف ضعف المستوى التعليمي والخبرات الإدارية لدى ابناء هذه الطائفة. انظر د. حسين عبد الواحد، مصدر سابق ص٣٥٦

٢٧.ينظر حنا بطاطو، مصدر سابق ص ٤٦-٥٠

٢٨. ينظر رند حكمت محمود، مشكلة بناء الدولة في العراق للمدة ١٩٢١-٢٠٠٦، ص٦٨-٦٩

٢٩. ينظر د. عبد الله حميد العتابي، إشكالية الجنسية في العراق المعاصر، ص٦٤

٣٠.ينظر رند حكمت محمود، مصدر سابق، ٦٩

٣١. ينظر حنا بطاطو، ص ١٢٩

٣٢. ينظر علي وتوت، الدولة والمجتمع في العراق المعاصر، ص١٧٩-١٨١

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
ISSN ٠٩٣٤-٢٢٢٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

قائمة المراجع

- حسن العلوي، الشيعة والدولة القومية في العراق، ط١، روح الأمين، بغداد ١٤٢٦ ه
- حسين عبد الواحد بدر، سياسة فرق تسد البريطانية في العراق – التقرير البريطاني عن إدارة العراق الى عصبة الأمم في عام ١٩٢٧ وتحليله على وفق معطيات الواقع السياسية انموذجاً، مجلة دراسات في التاريخ والأثار، العدد ٤٩ لسنة ٢٠١٥، كلية الآداب جامعة بغداد
- حنا بطاطو، العراق – الكتاب الأول – الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية في العهد العثماني حتى قيام الجمهورية، ط١، ترجمة عفيف الرزاز، ط١، طهران ٢٠٠٥
- رند حكمت محمود، مشكلة بناء الدولة في العراق للمدة ١٩٢١-٢٠٠٦، أطروحة دكتوراة، مقدمة الى كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد ٢٠٠٧
- علي وتوت، الدولة والمجتمع المعاصر في العراق سوسيولوجيا، المؤسسة السياسية في العراق ١٩٢١-٢٠٠٣، مركز دراسات المشرق العربي، بيروت ٢٠٠٨
- عبد الله حميد العتابي، إشكالية الجنسية في العراق المعاصر، ط١، دار قناديل، بغداد ٢٠٢١
- منقذ داغر وميشيل غليفاند، ثقافة التصلب – منظور جديد لفهم المجتمع العراقي، ط١، الذاكرة للنشر والتوزيع، بغداد ٢٠٢٣

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
Issn.2224-0934
Info@baytalhikma.iq

Iraqi National Identity - Origins and Obstacles

Assistant Professor Walaa Mahdi Mohammed Hussein

Abstract

The national identity began to take shape in the late Ottoman era, and the idea of Iraqi citizenship was born with the British occupation and the establishment of the Iraqi state. The first tasks of King Faisal I were to create a common Iraqi identity and enhance the sense of citizenship. The topic has occupied researchers and intellectuals since the establishment of the modern Iraqi state, due to crises, social fluctuations and wars, and due to his major Arab and regional role in the events that the region has been experiencing for a century.

The concept of identity developed through three stages: the end of the Ottoman Empire, the British occupation and the establishment of the Iraqi state, and then the royal era. The identity of the state since its establishment was nationalistic, which was reflected in the overall structure of the state, and several obstacles appeared related to the nature of Iraqi society and also to government performance.

Keywords: Iraqi state, national identity, citizenship, identity obstacles